وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدماً في التفوق
او يثني عليه بل كل واحد منهم يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم
على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم
ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الخلاف ومثال نظر هؤلاء ما رأيت
من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال قوم هو في الصيف قدمان وحكى عن اخر
انه نصف قدم واخر يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام وحكى عن اخر انه خمسة
اقدام واخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء
اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله واخطأ في تخطئة صاحبه
اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال
نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد
فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول
وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت
فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر
في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا
يطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولاً ثم طلب السلامة
من شر الاشرار ثانياً ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحق المسلمين ثالثاً ثم
التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعاً فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظباً على
العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه
وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد
وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلاة
او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد
ان تنبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحدى مهمات
المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله تعالى والاخبار ينابيع الوساوس و
اصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخا
لطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من اذى الجيران ~~ولو مدة يسيرة وحال الاشتغال~~
وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه
بترك المخالطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به
لا بد ان يكون واقفاً عن سيره في طريق الآخرة فان السير اما ان يكون في المواظبة
على ورد وذكر مع حضور قلب واما ان يكون بالفكر في جلال الله تعالى وصفاته

الاختلاف صح

وافعاله

وافعاله وملكوت سماواته وارضه واما بالتامل في دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب
طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش
القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالح او
جليس صالح لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية
الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون
فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على انه
لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر
عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق
قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به
فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت
انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وانسه فرحاً
بفضل الله ورحمته كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله
في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه
كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال
لصحابته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر.

كتاب ادب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص
هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر
منزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح
في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو
والحضر والصلاة على محمد سيد البشر وعلى آله واصحابه المقتفين لآثاره في الاخلاق
والسير وسلم تسليماً كثيراً اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب
عنه او الوصول الى المطلوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن
الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات
واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة
الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة
النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرضه السموات والارض ظلمة السجن وضيق
الحبس بيت ولم ار في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

التخلص صح

مرغوب صح

جامعة الملك سعود

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)